كيف تكون أوابا؟

د . محمد بن إبراهيم النعيم

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

"كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"

هكذا قال لنا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

والخطّاء هو كثير الخطأ والزلل، وكثير الوقوع في الذنوب والمعاصي..

فإن العبد لا بد أن يجري عليه ما سبق به القدر من وقوعه في فعل الذنوب والخطايا؛ لأن ذلك مكتوب على العبد لا محالة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتفق عليه: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»، ولكن كما ذكر أهل العلم أن العبد لا يؤتى من فِعل المعصية وإن عظمت، وإنما يؤتى من ترك التوبة وتأخيرها، فالله عَزَّوَجَلَّ غفور رحيم يحب التوابين، ويحب الذين يعترفون بخطئهم ويعودون إليه تائبين،

ألم تقرؤوا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

اعلم يا عبد الله أنك في صراع دائم مع الشيطان..

وهذا العدو الخفي حريص أن يقذف في قلبك اليأس من رحمة الله تعالى، ويحاول أن يثنيك عن التوبة، ويضع لك العراقيل، ويقول لك: إن توبتك غير صادقة، وأنت تضحك على نفسك فلا تتب، أو يقولُ لك: لا تتعب نفسك بكثرة توبتك واستغفارك؛ لأنك سرعان ما ستعودُ إلى المعصية، فتوبتك ليست نصوحا، فلا تتعب نفسك وابق على ما أنت عليه، وقد يقول له أيضا: إن الله لن يتوب عليك ما دام هذا حالك؛ لأنك ستعود،

ونحو ذلك من كلمات ووساوس مفادها منعك وصدك عن دخول باب التوبة. ولا شك أن هذا كله خطأ، فخير الخطائين التوابون.

لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحلف على شيء ويرى شيئا خيرا منها، فيكفر عن يمينه، فكيف بمن يعرف أنه مذنب؟

فالواجب عليه أن يعترفَ بذنبه عند ربه ويعودَ إلى الله تعالى، حتى لو تكرر منه الذنب، لأنه في هذه الحالة يحتاج إلى توبة صادقة أخرى، وهكذا نكون في صراع دائم مع الشيطان.

فالمهم أن لا تتمادى في الخطأ والذنب.. وإنما بادر إلى التوبة.

لقد مدح الله عَزَّوَجَلَّ بعض أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأنهم أوابين رجاعين إليه، حيث قال عَزَّوَجَلَّ في حق داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: {اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:١٧]، بل كرر الله عَزَّوَجَلَّ هذا المدح له في آية أخرى وفي نفس السورة حيث قال تعالى: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:٤٤].

كما مدح الرب عَزَّوَجَلَّ نبيه سليمان لأنه اتصف بسرعة أوبته ورجوعه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقال تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:٣٠] أي رجاع إلى الله بالاستغفار والتوبة.

قال ابن حجر:

عن مُجَاهِد قَالَ: «الأَوَّاب الرَّجَّاع عَنْ الذُّنُوب».

وَمِنْ طَرِيق قَتَادَةَ قَالَ: «الْمُطِيع».

وَمِنْ طَرِيق السُّدِّيِّ قَالَ: «هُوَ الْمُسَبِّح».

وحين يذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الصفة في بعض أنبياءه ويسجلها في كتابه، فإنما هي دعوة للجميع للتحلي بهذه الصفة الجليلة.

فالرجوع إلى الحق فضيلة
وأيما فضيلة..

أما الإصرار على الذنب فأمره خطير، ومآله إلى عذاب أليم.

فالله عَزَّوَجَلَّ لا يحب المصرين على الذنب..

فإن الإِصْـرَار عَـلَى الصَّغِيرَة يَجْعَلهَا كَـبِيرَة، فَكَيْف بالإصرار عَلَى الْكَبِيرَة؟

والأوابـون لهم بعض الصفات التي ينبغي التحلي بها إن كنا صادقين بالاتصاف بها، أذكر منها سبع صفات:

أولا: أنه كلما أذنب المرء ذنبا صغيرا كان أو كبيرا، لـم يـيأس وإنـما تـاب منه واستغفر ولم يستسلم لوساوس الشيطان..

ولنا في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة، حيث روى أبـو هُـرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَـنْ النَّـبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ،

ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

قَالَ: عَبْدُ الأَعْلَى: لا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»[1].

ثانيا: إذا أذنبت ذنبا في خلوتك فبادر إلى التوبة منه ولا تعلنه لغيرك.

فقد قال مُجَاهِدٍ -رحمه الله تعالى-: «الأَوَّابُ الْحَفِيظُ الَّذِي يُذْنِبُ الذَّنْبَ سِرًّا، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ سِرًّا».

[1] رواه مسلم (٢١١٢).

ثالثا: كلما تذكرت ذنبك فاستغفر منه تكن من الأوابين أيضًا.

فقد روى يونس بن خباب -رحمه الله تعالى- قال: قال لي مجاهد وكان لي أخا: «ألا أنبئكم بالأوَّاب الحفيظ؟» قلت: بلى ، قال: «هو الرجل يذكر ذنبه إذا خلا يستغفر لذنبه»[1].

رابعا: قبل أن تقوم من مجلسك بادر إلى قول كفارة المجلس تكن أوابا.

فقد قال سفيان -رحمه الله تعالى-: «الأوَّاب الحفيظ الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتوب»[2] .

[1] كتاب الزهد لابن حنبل (ص ٣٧٨).
[2] حلية الاولياء (٧/ ٢٧٩).

وكفارة المجلس رواها عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كفارة المجلس أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك»[1].

وأما ثوابها فقد رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»[2].

فحافظ -يا عبد الله- على كفارة المجلس، وارفع بها صوتك؛ كي يقتدي بك جلساؤك..

[1] رواه الطبراني (١٠٣٣٣).
[2] رواه الترمذي (٢٥٤١٨).

ففيها هذا الدعاء الجميل الذي فيه توحيد وتعظيم لله عَزَّوَجَلَّ واستغفار وتوبة، ليُكفر عنك ما بدر منك في مجلسك وتكون أوابا.

خامسا: إذا رجعت من سفر فأعلن أوبتك لله كما كان يفعل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

حيث روى الْبَرَاء بْنُ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ قَالَ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[1]، بل جاء في صحيح البخاري أنه كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكرر ذلك حتى يدخل المدينة[2].

[1] رواه البخاري (٥٩٦٨)، ومسلم (١٣٤٢)، والترمذي (٣٤٤٠) واللفظ له.
[2] البخاري (٣٠٨٦).

سادسا: حافظ على صلاة الضحى.

لما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين»[1].

وروى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَبِالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصَلَاةِ الضُّحَى فَإِنَّهَا صَلَاةُ الأَوَّابِينَ»[2].

وجاءت نفس الوصية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

---

[1] أخرجه الحاكم (١/ ٤٥٩ رقم ١١٨٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والطبرانى فى الأوسط (٤/ ١٥٩ رقم ٣٨٦٥).
[2] رواه الإمام أحمد (٧٥٩٦).
[3] رواه مسلم (٧٢٢).

سابعا: ادع الله تعالى أن تكون أوابا.

كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بذلك، حيث روى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو ويقول: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»[1].

[1] رواه الترمذي (٣٥٥١).

فالعبد الأواب هو الشخص الذي يخطئ فيستغفر، ثم يعود فيخطئ فيستغفر ثم يعود فيخطئ فيستغفر، وهكذا هو في صراع دائم مع نفسه الضعيفة ومع الشيطان.

فهو إنسان عرف الطريق وسلكه..

فكلما أذنب لم يصر على معصيته، وإنما يندم ويستغفر..

وهكذا هو ديدنه حتى يفارق هذه الحياة.

فقد روى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[1].

[1] حسنه ابن حجر وابن مفلح وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٥٠٠٤).

فالمهم -يا عبد الله- لا تتمادى في الخطأ، فإذا علمت أنك أذنبت فتب مباشرة ولا تتمادى، ألا تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل ملك الشمال الذي يكتب السيئات يتريث ست ساعات قبل أن يكتب تلك السيئة لعل صاحبها يتوب ويستغفر؟ هل رأيت رحمة أعظم من ذلك؟

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة»[1].

فكن -يا عبد الله- أوابا يحبك الله..

[1] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٠٩٧).

واعلم أنه من العجلة المحمودة: المبادرة إلى التوبة والاستغفار..

فمن صفات المؤمن التواب أنه كلما وقع في الذنب وتكرر منه، عاد إلى التوبة وكررها.

فاندم -رحمك الله- على تقصيرك ووقوعك في المعصية - وكلنا ذاك الرجل - فإن الندمَ توبة، وقد روى أبو سعيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

[1] حسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٧٤٩).

لقد بشر المولى عَزَّوَجَلَّ الأوابين بالجنة؛ لأنهم رجاعين دائما إلى طاعته حافظين لحدوده، فقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق:٣١-٣٤].

ولذلك روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[1].

فهذا دليل على كثرة توبة هذا العبد واستغفاره وأوبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك استحق طوبى وهي شجرة في الجنة عظيمة..

[1] رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٧).

فكن أوابا يا عبد الله
يحبك الله..

ولكي تصل إلى هذه المرتبة العالية:

١ فكلما أذنبت ذنبا فتب منه ولا تتمادى، متذكرا الحديث القدسي حيث قال الرب عَزَّوَجَلَّ: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

٢ وكلما أذنبت ذنبا في السر، فتب منه سرا ولا تجهر به كما قال مجاهد رحمه الله.

٣ وكلما تذكرت ذنبك فتب واستغفر منه، ولا تغفل عنه كما قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ وكلما هممت القيام من مجلسك، فقل كفارة المجلس قبل أن تقوم.

٥ حافظ على صلاة الضحى فهي صلاة الأوابين.

٦ واسأل الله تعالى أن تكون له أوابا، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل بذلك.

٧ ورطب لسانك بكثرة الاستغفار والتوبة والندم خصوصا عند وقوعك في أي زلة، تكن بذلك عبدا أوابًا.

هكذا مدح الله تعالى نبيه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال عنه: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص:٣٠].

ألا تريدُ أن تُمدحَ بهذا المدح؟
ألا تريد أن تنالَ هذا الوسام؟

ليقال لك: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

لقد أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه استجاب للكفار وهم في لجة البحر حينما استغاثوا به، مع علمه أنهم سيعودون إلى كفرهم، لماذا فعل ذلك؟ ألا يعلم سبحانه الغيب؟

بلى، ولكن لأنه لا يرد دعوة المضطر، فكيف بمن يعود إليه تائبا، فهل تظن أنه سيرده؟

كلا،

فإنه لن يرده البته.

جعلني الله وإياكم
من الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه..

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم..

تصميم الصفحات
الفتح
maktab.alfath@gmail.com
0114 99 56 76 6

هذا الكتاب منشور في